الفاشية الصغيرة

دراسة في صحف ونشرات القوى الانعزالية

انور خالد

لقد افرزت الحرب الاهلية في لبنان العديد من الظواهر الاجتماعية ، التي كانت مخفية في قعر الواقع الاجتماعي والسياسي . وضعت المسألة الوطنية في مكانها الصحيح المركزي ، بوصفها محركا للتوازنات اللبنانية بأسرها ، وكشفت عن عمق وترسخ المسألة الطائفية بوصفها احدى الظواهر الاجتماعية الرئيسية المرافقة لرأسمالية الوساطة الاقتصادية . فتقدم لبنان ، كان يعني ترسيخا لمسألة الانتماءات الطائفية . في دولة كانت اصلا جهاز توازن بالغلبة ، ولم تكن تتشكل كجهاز للهيمنة (١) .

ان المسألة الطائفية ، ليست مسألة جامدة . فهي ككل الظاهرات الاجتماعية ، تخضع لتحولات في داخلها كبنية اجتماعية تخوض صراعات معينة ، من جهة . كما تؤثر عليها سلبا أو ايجابا مجريات الصراع وتوازناته الجديدة من جهة اخرى . لذلك ففي داخل الطائفة هناك اكثر من اتجاه واحد ، يعبر عن افق التوازن المفترض . كما ان اتجاهات الطائفة ليست بمعزل عن مجريات الصراع الاجتماعي الوطني ، بل هي احدى تعبيراته الرئيسية .

ان احدى اهم الظواهر التي افرزتها الحرب الاهلية ، كان انتشار صدور الصحف غير المرخصة في الطرف الانعزالي . وربما يعود هذا الى ضعف الجهاز الاعلامي الانعزالي في ظل سيطرة الاطراف الوطنية العربية او الاطراف الوسطية المعتدلة على الاكثرية الساحقة من صحف بيروت . فكانت الصحيفة غير المرخصة جهاز اعلام صغير ، يفيد على نطاق الحي او المدينة او ربما على نطاق المناطق المسيحية بأسرها الخاضعة للسيطرة الانعزالية . غير ان السبب الاعلامي ، لا يبدو كافيا لتفسير هذه الظاهرة ، فقد تكفي صحيفة « العمل » ، واذاعة صوت لبنان ، في تغطية المسألة الاعلامية . لكن المسألة تعبر عن ظاهرة جديدة :

١ ــ النمو الهائل للشعور الطائفي ، الذي اصبح بحاجة الى قنوات فكرية وايديولوجية تستوعب تعدديته .

---

١ ــ خالد جابر : السلطة والتوازن في لبنان في شؤون فلسطينية ، ت ٢ ١٩٧٥ .